نقد نظرية التحليل النفسي لفرويد وبيان ما يتوافق ولا يتوافق مع المجتمعات العربية الإسلامية

أ. نعيمة غازلي تمعزوزت
أ. نصيرة طالح
جامعة تيزي-وزو (الجزائر)

ملخص:

يعود الفضل في تأسيس مدرسة التحليل النفسي إلى سيقموند فرويد الذي تزعم أولى النظريات، وابتدع طريقة فعالة في الإيحاء وهي طريقة التداعي الحر، حيث يرى أنّ السلوك هو نتيجة للصراع بين مكونات الشخصية، وهذه الأخيرة مكونة من ثلاث قوى متفاعلة مرتبطة بالوعي على ثلاث مستويات، وتتكون الشخصية النفسية من عدة مراحل، رغم كل ما أضافته نظرية فرويد إلى علم النفس سواء نظريا أو تطبيقيا إلا أنها لم تفلح من النقد نظرا لنقائصها سواء من حيث المادة أو المنهج، فلقد نقدت من قبل الغرب من عدة نواحي لكنهم تجاهلوا نقدها من الناحية الثقافية، وهو الجانب الذي اهتم به علماء العرب المسلمين حاليا نتيجة الصعوبات والعراقيل التي تلقوها خلال تطبيقهم لمفاهيم ومبادئ هذه النظرية في الثقافة العربية الإسلامية، ويرون الباحثين العرب أنّ التحليل النفسي عرف عندهم قبل فرويد ربما يظهر ذلك في المواضيع المشتركة التي يهتم بها الجانبين رغم اختلاف التفسيرات مثل النفس الإنسانية، تفسير الأحلام.

الكلمات المفتاحية: التحليل النفسي، المجتمعات العربية الإسلامية.

Abstract :

Thanks to establish a school of psychoanalysis to Sigmund Freud who first theorems, and create an effective way to suggest a reversal, arguing that the behavior is a result of the conflict between the components of the profile, the latter composed of three interacting forces, and is linked to awareness on three levels, and personal psychological consists of several stages, latency, despite everything added Freudian psychology either theoretical or applied but failed due to the shortcomings of criticism both in terms of material or curriculum, were openly critical of the West in many respects but they ignored the criticism, which I care about Muslim Arab scientists currently as a result of the difficulties and obstacles they received during their application of the concepts and principles of this theory in Islamic Arabic culture, see Arabs researchers that they defined psychoanalysis before Freud, This may appear in the common themes of interest to both sides despite different interpretations like human psychology, dream interpretation.

Keywords: psychoanalysis, Islamic Arabic communities.

مقدمة:

ولد "سيقموند فرويد" (Sigmund FREUD) في مورافيا في السادس (06) من مايو سنة 1856 ومات في لندن في الثالث والعشرين (23) من سبتمبر سنة 1939، دخل كلية الطب في جامعة فيانا، ومارس الطب واستطاع أن يمارس البحث العلمي، ولقد ذهب فرويد إلى التخصص في علم الأعصاب وعلاج الاضطرابات العصبية، ابتدع طريقة جديدة وهي الإيحاء في اليقظة واسماها طريقة التداعي الحر الطليق، وكانت هذه الخطوة هي أول الخطوات الجادة عن طريق التحليل النفسي.

يعتبر الباحث والعالم "فرويد" مؤسس مدرسة التحليل النفسي، وله الفضل في وضع النظرية الأولى (التحليل النفسي الكلاسيكي)، فإنّ نظريته ما هي إلا نظرية من نظريات التحليل النفسي، علما بأنّ معظم المسلمات الأساسية للمدرسة هي ما قدمه فرويد، ومن خلال الانتقادات والنقائص التي تميزت هذه النظرية تعددت النظريات المنتمية للتحليل النفسي بعد فرويد، ومنها ما استقل تماما وابتعد كثيرا عن المسلمات الأساسية لنظرية فرويد مثل: ينج (Jung)، أدلر (Adler)، ومنها الاتجاهات المطورة لفكر فرويد مثل: أنا فرويد (Anna freud)، وايت (White)، هارتمان (Hartmann)، كوت (Kote) وإريكسون (Erikson)، هذه النظريات بدورها تنقسم إلى مجموعتين هما: علم نفس الأنا، ونظريات العلاقة بالموضوع، وأخيرا الفرويديون الجدد والذين احتفظوا ببعض المسلمات الأساسية مع تقديمهم لفكر جديد مخالف لفكر فرويد مثل : فروم (From)، هورني (Horny)، سوليفان (Solivan) ***(الفتاح الغامدي)***.

- **نبذة مختصرة عن نظرية التحليل النفسي لفرويد:**

يدل اصطلاح التحليل النفسي وفقا لتحديد فرويد على ثلاثة أشياء:

1- منهج للبحث في العمليات النفسية التي تكاد تستعصي على أيّ منهج آخر.

2- فن لعلاج الاضطرابات العصابية (النفسية) ويقوم على المنهج المذكور.

3- مجموعة من المعارف النفسية يتألف منها نظام علمي جديد.

وفي الواقع أنّ نظرية التحليل النفسي قد وجهت الأنظار إلى نقطة في غاية الأهمية لدراسة الشخصية الإنسانية، وهي أنّ الخبرات الانفعالية في الطفولة المبكرة تترك أثرا باقيا في تكوين الشخصية.

- ✓ **بناءات الشخصية حسب فرويد:**

تناول فرويد بناءات الشخصية من جانبين، حيث تحدث عن البناءات من حيث أساس تكوينها ووظائفها وتشمل: الهو، الأنا، والأنا العليا، ثم تحدث عنها وعن محتواها من حيث مدى ارتباطها بالوعي، فقسمها إلى: الشعور، ما قبل الشعور، وأخيرا اللاشعور.

1- بناءات الشخصية وفقا لأساس تكوينها ووظائفها:

أ- الهو: وهو النظام الأصلي للشخصية وهو أكثر قوى الشخصية بدائية وهمجية، ويتكون من كل ما هو موروث سيكولوجيا بما في ذلك الغرائز، ومبدأه هو السعي للحصول على الإشباع الفوري فلا تأجيل لدوافعه وحاجاته، وهدفه الأساسي الحصول على اللذة، ويتم ذلك من خلال عمليتين هما:

-الفعل المنعكس: وهو إرجاع ولادية تؤدي إلى خفض التوتر.

-العمليات الأولية: وهي إرجاع سيكولوجية تخفض التوتر بتكوين صورة للموضوع، والهو لصيق بالإنسان لا يمكن تغييره ولا يتأثر بالخبرة أو التجربة.

ب- الأنا: وهو جزء من الهو انفصل عنه بفعل احتكاكه بالعالم الخارجي ومبدأه الذي يعمل من خلاله هو الواقع، ولذلك يسعى لإشباع رغبات الهو وفقا لمقتضيات الواقع ويؤجل الإشباع الغريزي حتى يتوفر الوقت والظروف الملائمة.

ت- الأنا الأعلى: هو ذلك الجزء من الشخصية الذي يتكون في الطفولة المبكرة من خلال التعليم السلوكية التي يلقاها الطفل من والديه.

وفي ما سماه فرود بدينامية الشخصية يوضح كيفية عمل الهو والأنا والأنا الأعلى وتفاعلهما مع بعضهما البعض ومع البيئة من خلال توضيح النقاط التالية:

أ- الطاقة: تأثر فرويد بمبدأ الحتمية الوضعية الذي وصف الكائن البشري كنظام معقد من الطاقة وهذه الطاقة لا تفقد ولكن يمكن تحويلها من صورة لأخرى وهي المحرك الأساسي لأداء العمل وإذا كانت هذه الطاقة مرتبطة بأنشطة سيكولوجية كالتفكير والإدراك والتذكر سميت طاقة نفسية يمكن أن تتحول إلى طاقة فسيولوجية لأداء الأعمال.

ب- الغريزة: لقد رأى فرويد أنّ النشاط الإنساني كله يتحدد بالغريزة، وقد يكون تأثيرها على السلوك ملتويا ومعقدا وقد يكون مباشرا ونافرا، وافترض فرويد أنه من الممكن إدراج الغرائز تحت فئتين هما: غرائز الحياة، وغرائز الموت، بحيث تخدم غرائز الحياة غرض الحفاظ على حياة الفرد وتكاثر الجنس، ويندرج تحت هذه الفئة الجوع والعطش والجنس، أما غرائز الموت هي غرائز التدمير فتقوم بعملها ومن المشتقات الهامة لها الباعث العدواني ***(العيسوي)***.

2- مستوى الوعي والخبرة وعلاقاتها ببناء الشخصية: يقسم فرويد الخبرات وفق ثلاثة أبنية من حيث درجة الوعي بها، ترتبط بها البناءات السابقة الذكر إلى درجة كبيرة، وهي:

أ- الشعور: ويمثل الجزء الواعي من العقل، ويشمل الجزء الأكبر من الأنا (العمليات العقلية الواعية)، فيما عدى ميكانيزمات الدفاع اللاشعورية.

ب- ما قبل الشعور: ويحوي تلك الخبرات التي لا تكون في مركز الوعي إلا أنه يمكن استرجاعها بشيء من الجهد وأيضا الخبرات في طريقها غلى الكبت.

ت- اللاشعور: هذا هو الجزء الأهم من وجهة نظر فرويد، حيث يمثل الجزء الأعمق من العقل والبعيد عن الوعي، حيث تكون محتوياته لا شعورية وعادة ما ترتبط برغبات الأحداث الماضية والتي ترتبط عادة بالمركبات الأوديبية، المرتبطة بالجنس والعدوان، التي حولت عن طريق ميكانيزم الكبت من حيز الوعي إلى حيز اللاوعي أي اللاشعور، ولعل من أهم ما قدمه فرويد في هذا المجال هو تفسيره عن ديناميكية وفاعلية الشعور والتي تظهر في ميكانيزمات الدفاع التي تبدأ بميكانيزم الكبت، ثم مجموعة من ميكانيزمات الأنا اللاشعوري التعويضية، مثل: الإسقاط، التبرير، الإعلاء، وغيرها، التي تعمل على ضمان استمرارية عملية كبت الخبرات المؤلمة أو غير المقبولة، مع تحقيق نوع من التوازن الناتج عن خفض منسوب القلق، كما تظهر هذه الديناميكية في عمل بعض الأجهزة التي افترضها فرويد كجهاز مراقبة الأحلام، والذي يعمل من خلال ميكانيزماته الخاصة على تشويه الأحلام لضمان بقاء الخبرات المؤلمة في حيز الشعور.

- ✓ **مراحل النمو النفسي حسب فرويد:**

لقد اقترح فرويد مراحل لتشكيل الشخصية من وجهة نظر مدرسة التحليل النفسي وهي:

1- المرحلة الفمية: نجد فيها مرحلتين هما:

- المرحلة الفمية المصية: وتتضمن العام الأول من حياة الطفل، وتكون اللذة في عملية مص ثدي الأم والإطعام من حليبها.
- المرحلة الفمية العضية: وتتضمن العام الثاني من حياة الطفل وتكون اللذة في العض نتيجة التوتر الذي يلقاه من عملية التسنين ويكون الطفل حائرا بين إشباع رغبته وخوفه من العقاب.

2- المرحلة الشرجية: تنتقل اللذة من الفم إلى الشرج وردود أفعال الأسرة تجاه الطفل لها أكبر أثر في تكوين سمات شخصيته من خلال العقاب نتيجة لضبط عملية الإخراج.

3- المرحلة القضيبية: وتتضمن العامين الرابع والخامس، وفيها تنتقل اللذة من الشرج إلى الأعضاء التناسلية فيحصل الطفل على لذته في اللعب بالأعضاء التناسلية ويمر الطفل بعقدة أوديب وهو ميل الذكر إلى أمه وميل الأنثى إلى الأب والغيرة من الأم وتسمى بعقدة أليكترا.

4- مرحلة الكمون: وتمتد من السنة السادسة حتى بلوغ النضج في الثانية عشر عند الإناث والثالثة عشر عند الذكور وفيها ينصرف الطفل عن ذاته ويهتم بمن حوله ويكون الطفل حريص على طاعة الكبار والامتثال لأوامرهم ونواهيهم.

5- المرحلة الجنسية (التناسلية): وهي ترتبط بالبلوغ ويميل الطفل إلى مصاحبة الجنس الآخر ويحول عواطفه اتجاهه، لذا فالطفل السوي هو من يجتاز بنجاح كل مرحلة نمائية بدرجة من الثبات والإشباع النسبي أما إذا تعطلت مسيرة النمو يسمى ما أسماه فرويد بالتثبيت ويميل إلى النكوص إلى مرحلة معينة ***(عليان،2015)***.

✓ **نقد نظرية التحليل النفسي:**

- مبالغة فرويد في تأكيده على العوامل البيولوجية الجنسية في النمو الإنساني.
- قيّم فرويد نتائجه وأعطاها تعميمات شاملة من خلال تحليله لامرأة من الطبقة الوسطى اليهودية من مدينة فينا ومن تلك المجموعات المكبوتة.
- اعتمدت نظرية فرويد وبشكل كامل على ملاحظاته المتعلقة بأفراد مضطربين عاطفيا، وهذا قد يكزن وصفا ملائما أو تعبيرا دقيقا للشخصية العادية السليمة.
- لقد قام فرويد تحليلاته وملاحظاته وصاغ نظريته خلال فترة العصر الفيكتوري، عندما كانت المفاهيم الجنسية محظورة جدا ولذلك كان من الواضح أنّ معظم مرضاه يعانون من صراع يتعلق برغباتهم الجنسية، وأما اليوم فعلى الرغم من مشاعر الإثم المرتبطة بالجنس أصبحت أقل انتشارا، فإنّ حدوث المرض الذهني بقي نفسه.
- حسب بعض الباحثين أمثال "ستيفنز" (Stivnz) 1995 أنّ فرويد لم تكن نظرياته تعتمد بشكل عام على إقامة دراسات فعلية للأطفال، معظم مواضيعه مرتبطة بالبالغين وإعطاء براهين تحليلية، ولقد كان يستند بشكل كبير على عدد من المصادر غير النفسية والفلسفة وفروع أخرى من الآداب والعلوم.
- لم يدرك أنّ الأنا له مصادره الخاصة من الطاقة النفسية وليس معتمد على الهو في هذا الجانب.
- كانت أفكار فرويد غامضة ومن الصعب تعريفها، فهو لم يعطي دلالات واضحة مثل أن يبين ما هو السوك الذي يشير إلى أنّ الطفل متثبت في المرحلة الفمية أو الشرجية في التطور الجنسي.
- صعوبة تطبيق التحليل النفسي في المدارس أو العيادات لتكلفتها وطول وقت تطبيقها.
- التأكيد المطلق على النمو الجنسي بشكل كبير يثير شكوك كبيرة في مصداقية النظرية.
- التحليل النفسي يتسم بالذاتية ويفتقر إلى الأسس الموضوعية لعلم النفس والبحث العلمي.
- تم الجدال غالبا حول أنّ نظرية فرويد غير دقيقة تماما وصحيحة ولا يمكن اختبارها بسهولة لأنّ مراحل نمو الشخصية لا يمكن دراستها أو اعتبارها دراسات سهلة في تقييمها، بالتالي عدم القدرة على إخضاع مفاهيمها الرئيسة للقياس.
- تتميز النظرية الفرويدية بقصور واضح في قدرتها على تقديم قواعد علائقية يمكن الوصول بها إلى أيّ توقعات محددة لما سوف يحدث إذا ما وقعت أحداث معينة.
- أهملت العوامل البيئية والموقفية وأثرها في الاضطرابات النفسية.
- أخفق في إدراك أنّ ما وجد في مرضاه إنما كان مرتبط بوقت معين ومكان معين.

- تفترض نظرية فرويد أنّ هناك سلوكيات مختلفة جدا يمكن أن تكون علامات أو إشارات لنفس الدافع أو الصراع، مثلا الأم التي تشعر بأنها ممتعضة من ابنها ستعاقبه، أو قد تتكر دوافعها العدائية اتجاهه بأن تتصرف بأسلوب فيه كثير من الاهتمام والحرص، فعندما نقول أنّ مثل هذه التصرفات المتناقضة يمكن أن تنتج من نفس الدافع الضمني لا يمكننا أن نجزم بوجود أو غياب مثل هذا الدافع.

-رغم أنّ مدرسة التحليل النفسي قدمت أفكارا وتوضيحات نجحت في تفسير الكثير من أنواع السلوك الإنساني وساهمت في علاج الكثير من الأمراض النفسية المستعصية على الطب العادي، لكن صرح أصحابها بأنها نظرية فلسفية شاملة قادرة على تفسير جميع مظاهر الثقافة الإنسانية، طرح فيه تجاوزات كبيرة وتحميل التحليل النفسي ما لا طاقة له به، خصوصا وأنها تنظر للإنسان كحزمة من الغرائز وتعمل على تفسير كل شيء بالغرائز بما في ذلك الدين والأخلاق، فكيف يمكننا أن نفسر الأعلى بالأدنى؟!.

لقد اتضح أنّ دراسات التحليل النفسي للأديان تجاهلت الإسلام لوقت طويل كالدراسة التي أعدها أريك فروم عن الديانات والتحليل النفسي والتي رصدت الديانات المسيحية واليهودية والبوذية والهندوسية، ما عدا الإسلام، لكن فرويد أتى على ذكر الإسلام في كتابه "موسى والتوحيد" في شكل موجز ومقتبس عن الإستشراق الألماني، حين اعتقد أنّ "الدين المحمدي" هو بمثابة تكرار مختصر لأسس الديانة اليهودية وأنه يقتدي بها.

فرويد يحدثنا عن نشأة الدين ويقول أنه كان رد فعل لجريمة شنعاء، فقد حدث في جيل من الأجيال الإنسانية الأولى، كان هناك أب مستبد يحكم القبيلة ويحتكر كل نساء العشيرة!، فكانت هناك ثورة من طرف الأبناء أدت إلى قتل الأب وأكله!، وبعدها أحسوا بالندم فأقاموا حفلات دينية يستغفرون لذنبهم وقوانين تحريمية التي كان أولها تحريم الزواج بالمحارم، وهكذا تطور الطوطم فأصبح الأب إلها ونسيت الناس جريمتها فلم تعد ترى صلة بين الطوطم والأب، وغدت الذبيحة قربانا تقدمه الأمم إلى العزة الإلهية، ومن جهة أخرى يطرح فرويد أوجه التشابه بين صفات الإله الذي يؤمن به الفرد وفكرة الطفل عن أبيه، ففي كلتا الحالتين تكون الذات العليا مفردة ورحيمة، وحكيمة، وفي كلتا الحالتين يخاف الفرد العقوبة والجزاء ويتطلع في الوقت ذاته إلى الرحمة والحماية، ومن هذا المنطلق زعم فرويد بأن الدين مجرد حالة نفسية سيكولوجية نابعة من آثار ومتبقيات فترة الطفولة عند الفرد البالغ، فحسب ذلك الإدعاء، أن الطفل يحمل عقدة أسماها فرويد: عقدة "أوديب" وتلك عقدة نفسية تتسم بحب الابن لأمه أولا والبنت لأبيها ثانياً حبا غرائزيا جنسياً مفرطا مصحوبا بتحيز ضد الأب في الحالة الأولى وضد الأم في الحالة الثانية، أما من هو "أوديب" لو كنت تسأل ؟ فالجواب هو: أن أوديب كان ملكا لمملكة "طيبة"، ولكن ما ميزه من بين الملوك في التاريخ أنه قتل أباه وتزوج أمه، في قصة معروفة في عصر ما قبل المسيح عليه السلام، وجوهر نظرية "فرويد" يكمن في فكرة مفادها أن الطفل يخاف عداوة أبيه ويخاف في الوقت ذاته فقدان حبه له، فعندها يتخلى ذلك الطفل الضعيف عن الأهداف الغرائزية ويحاول كبح جماح رغباته الجسدية، ومخاوفه، وأفكاره، وهذا المقدار من العقد النفسية يبقى بدرجة من الدرجات مخبوءاً في عقله اللاواعي، ولكن يظهر في حياته الشخصية لاحقاً إيمان روحي بقوة عظمى مشابهة في قوتها لقوة الأب وجبروته، ألا وهي قوة الدين والخالق عز وجل،ويدعم "فرويد" نظريته تلك بحجج منها: أن الراحة النفسية التي يجدها المؤمن بالدين منبثقة من الشعور بانتهاء الصراع بين التمرد على الأب والاستسلام له، ومنبثقة أيضا من الشعور بتقلص الصراع بين الرغبة الغرائزية "عقدة أوديب" والمستوى الأخلاقي المقبول اجتماعيا، ومنها : أن الصراع المذكور آنفا في عقل الفرد اللاواعي يقل بدرجة كبيرة عند تحقق الإيمان الجديد، لأن "الخالق المتصور" قوي بشكل خطير، ومنها أن "عقدة أوديب" التي وجدت بالأساس من إثم الغريزة الجسدية تجاه الأم ستُحل عبر الإيمان الجديد بالدين

من خلال العادات الدينية كالاعتراف بالذنب، والكفارة، والتوبة وغيرها ***(المرجع نفسه)***.

الملاحظ بأن الدين، في نظر فرويد ليس سوى مجرد حالة نفسية لقضية وهمية وليست له حقيقة خارجيـــة، فقـــد حاول أن يكذب جوهر الدين وأصله، بينما لم يتطرق إلى طبيعة العقائد الدينية ذاتها ولم يكذبها، ومن الانتقـــادات التـــي يمكن نوجهها له نجد:

1- إذا سلمنا مع فرويد بحصول جريمة في فجر الإنسانية، فلما هو الشيء الذي جعل الإنسان يخلد ذكرها؟ ولماذا ظلت الألسنة تتناقلها جيلا بعد جيل؟، فالعديد من الأبناء قتلوا آبائهم في لحظة غضب أو ضعف، لكن الأحفاد لا يهتمـــون لهذه الجريمة لوا يعطونها صفة القداسة ولا تلبث أن تمحى الفعلة من ذاكرة الأجيال التالية عبر الزمن.

هذه النظرية الفرويدية لا تعدو أن تكون مجرد سفسطة معتمدة على أسطورة سخيفة، فهي مجرد افتراض نظري لا يعبر عن أشياء حقيقية علمية، وهذا النوع من الافتراضات يرفضه علماء الاجتماع، خصوصا وأن الدين مازال موجـــودا ويلعب دورا أهم وأعظم في العصر المابعد صناعي الذي نعيشه اليوم، فليس هناك سبب منطقي أو علمي أو عقلـــي يدعونا للأخذ بهذه النظرية، فلا يستطيع فرويد ولا أحد مناصري نظريته إعطاءنا أدلة على هذا الكلام.

3- من نقائص النظرية أيضا تعميمها لكل الأديان، فالعلاقة بين الأب والرب لا توجد فـــي جميـــع الأديـــان وخاصـــة الإسلام، قد نجد هذا الرب فقط في بعض الديانات الوثنية كالمسيحية والهندوسية والمثراسية ...، فلو نظر فرويد إلى رسالة الإسلام فكيف سيفسر نظريته على صعيد العلاقة بين الأب والرب؟، وكيف للباحث له وزنه أن يسقط في هذا الخطأ الفظيع في تعميمه لنموذج الديانة المسيحية على جميع الأديان؟.

يكفي للاستدلال بتهافت مسألة الربط بين خوف الابن من أبيه و خوف الإنسان من الإله بالاستشـــهاد بنمـــاذج الأيتـــام، فـــاليتيم الفاقـــد لأبيـــه لـــم يعـــرف يومـــا معنـــى الخـــوف مـــن أبيـــه، فـــأنى لنـــا الـــربط بـــين الخـــوفين؟.

5- غاب عن فرويد مسألة أن الحالات العصبية والرغبات الغرائزية للإنسان لا تنتج تنظيما ولا تناسقا ولا فهما لهذا الكـــون، ومـــا فيـــه مـــن تصـــاميم عظيمـــة بتلـــك الدقـــة والشـــمول الموجـــودان فـــي الـــدين الإلهـــي.

6- لو كان الدين صراعا بين الرغبة الغريزية والتمرد كما يزعم فرويد، لما أنتج ذلك الصـــراع المزعـــوم نظامـــا أخلاقيا إلزاميا بتلك الصورة من الكمال التي نجـــدها فـــي الإســـلام والتـــي ألـــف فيهـــا العلمـــاء مـــن مختلـــف التخصصات مصنفات كثيرة لا تحتاج سوى لمن يقرأها.

7- كيف نستطيع التوفيق بين المعجزات التي جاءت بها الرسالات السماوية وما يفترضه فرويـــد مـــن العقـــد النفســـية المخبوءة في العقل اللاواعي؟، فكل الرسالات الإلهية مقرونة بمعجزات تدعم وجودها الرسالي، ولـــو كـــان الـــدين مجرد وهم أو مجموعة من الاستيهامات فكيف سيفسر لنا فرويد مسألة المعجزات؟.

8- لو كانت عقدتي "الذنب" و "أوديب" هما اللتان أوجدتا الدين، فلماذا استطاع الدين أن يستمر في تـــاريخ البشـــرية؟، ولما استطاع الإجابة على أخطر الأسئلة الوجودية التي لا يستطيع الإنسان البقاء دونها؟، كتساؤل الموت والحيـــاة والبعث والنشور؟، ولماذا استطاع الدين أن يحل مشاكل البشرية خاصة فيما يتعلق بمسائل العلاقـــات الاجتماعيـــة وطبيعة تنظيمها ؟.

9- إن الأدلة الفلسفية والعقلية على إثبات وجود الخالق عز وجل باعتباره واجب الوجود، لا تدع مجالا لفرضية فرويـــد بالصمود، فأين الدليل الفلسفي على افتراض صورة الأب في العقل اللاواعي؟، وكيف يتساوى واجب الوجود مع الموجودات التي أوجدها وصورها ؟.

10- لماذا خرافة "عقدة أوديب" التي يطلق يصفها فرويد بأنها كونية، لا وجود لها في العديد مـــن المجتمعـــات، كمـــا كشفت عن ذلك دراسات مارغريت ميد لسكان جزر الساموا، ودراسة مالينوفســـكي لســـكان جـــزر التروبريانـــد؟ وغيرها، كثير من المجتمعات المعروفة وغيرها؟.

وهكذا يتضح لنا أن نظرية فرويد مجرد تاريخ وهمي في قالب قصصي، لا سبيل للبرهنة عليه.

مع الإشارة إلى أنّ أول من قدم الإسلام والسيرة النبوية من منظور التحليل النفسي هو الكاتب وعالم النفس التونسي "فتحي بن سلامة"، عبر كتابين هما: "ليلة القلق" و"الإسلام والتحليل النفسي"***(العيسوي، د ت).***

- **مشكلة التحليل النفسي والثقافة العربية الإسلامية:**

بالتالي من بين الباحثين الذين اهتموا بمشكلة التحليل النفسي والثقافة العربية الإسلامية الباحث "فتحي بن سلامة" أستاذ علم الأمراض النفسية بجامعة باريس، هو ذو أصل تونسي، حيث وضح نظرته إلى ذلك من خلا الحوار الذي جمعه مع الباحث "غبرييلا م. كللر" ترجمة الباحث "على مصباح" (2006)، حيث طرحت عليه مجموعة من الأسئلة حول الموضوع وكانت إجاباته كما يلي:

- ✓ **لماذا يعارض الإسلام مقولات التحليل النفسي؟**

لا يعترف الإسلام بالتحليل النفسي لأسباب تتعلق بشخصية مؤسس النظرية "فرويد" الذي يعتبر الدين وهما لا وجود له، كما يرى الأصوليون في فرضياته شكلا من أشكال التفكير اليهودي، حيث يرى الباحث "فتحي بن سلامة" أنّ العالم الإسلامي ونظرية التحليل النفسي يتبادلان بعضيهما تجاهلا بتجاهل، وبهدف تقليص الجفوة بين هذين المجالين يتناول الباحث بالتحليل نفسية هذه الديانة ويشخص تأزمها ويشرح أعراض هذا التأزم، ويرى الباحث في الأصولية أحد التمظهرات بروزا لهذا التأزم، كجواب على عقدة الذنب التي يعاني منها المؤمنون داخل عالم لم يعد قابلا للتلاؤم مع ديانتهم، ومن خلال هذا البحث نحاول إيجاد الصلة بين الإسلام والتحليل النفسي، وذلك لأنّ فرضيات التحليل النفسي لا تزال إلى اليوم شبه مجهولة في بلاد المشرق، وعلم النفس مثلا هي المادة المعرفية الوحيدة التي تكاد لا تجد لها مكانا في برامج الدراسة داخل البلدان العربية، إنّ العالم الإسلامي يرفض علم النفس، وهذا الرفض يفسره "بن سلامة" أولا لأن علم النفس هو المادة العلمية الوحيدة التي ابتدعت من طرف شخص بمفرده وهو "سيقموند فرويد"، وهذا الأخير كان يهوديا، لذلك ينظر المسلمون إلى علم النفس كشكل من أشكال الفكر اليهودي، وبسبب النزاع الإسرائيلي- الفلسطيني فإنّ العالم العربي ينحوا مبدئيا إلى رفض كل ما هو يهودي.

يضاف إلى ذلك أنّ فرويد بحكم خلفيته اليهودية وما كان يشعر به من العزلة والإضطهاد، وكراهية شعوب العلم لليهود قد نزع إلى التشكيك في القيم الروحية والخلقية، وفي عواطف الحب والتعاطف والتراحم، ولذلك فإنّ أعماله ليست إلا انعكاسا لحياته الشخصية والعائلية أكثر من كونها نتاجا لعمل علمي يعتمد على التجربة والقياس والملاحظة الموضوعية الدقيقة، ولذلك لم يكن غريبا أن تعجز أرائه عن الصمود أمام التجريب العلمي، يضاف إلى ذلك أنّ المتأمل في تراثنا الإسلامي يلمس أنّ الأطباء المسلمين والعرب قد اهتدوا إلى فكرة اللاشعور وإلى عملية التحليل قبل أن يهتدي إليها سيقموند فرويد بمئات السنين ***(مصباح، 2006).***

لكن التحليل النفسي يضع كل الديانات موضع السؤال يهودية كانت أم إسلاما على حد سواء، وهو السبب الثاني لذلك الرفض، فالعديد من المسلمين يرون أن التحليل النفسي ينشر الإلحاد، ثم إنّ الطريقة الطريقة التي ينظر بها إلى الأمراض النفسية في المشرق تختلف، علاوة على ذلك كليا عن نظرة الناس في المغرب، فهناك يسود الاعتقاد بأنّ المريض إنسان قد تلبست روحه الجن، ولذلك فإنه لا يأخذ للعلاج عند طبيب نفساني، بل إلى فقيه أو إيمان ليخلصه من الجن بواسطة التعاويد، إنها الطريقة العلاجية العادية هناك، فالأمراض النفسية لا ينظر إليها كمسألة طبية بل كمشكل ميتافيزيقي، أو أنّ المرء يلجأ إلى طبيب يقدم للمريض وصفة أدوية علاج عصبي دون أن ترفُق مفاعيل الأدوية بعلاج نفسي مرافق.

✓ **إنّ الديانة تمثل عاملا أساسيا في أعمال "فرويد" فماذا كان رأي "فرويد" في الإسلام؟**

حسب بن سلامة لاشيء تقريبا فالتجاهل هنا متبادل بين الطرفين، وخلافا للمسيحية واليهودية فإنّ الإسلام هو الديانة التوحيدية الوحيدة التي لا توليها أطروحات "فرويد" أيّ اهتمام، وفي الأساس فإنّما ينطبق على كل ديانة ينطبق أيضا على الإسلام.

فرويد يسمي الإيمان وهما ومختلقا ذهنيا، هذا المختلق الذهني هو الجواب على ما يسميه "فرويد" بيأس الطفل المتروك، فالدين يمنح سببا للتخفيف من حدة هذا الشعور باليأس بما يعد به من خلاص من الضياع.

✓ **وفي أيّ أمر يظل الإسلام غير خاضع إلى أطروحات فرويد؟**

حسب الباحث يقول "فرويد" إنّ الله ليس شيء آخر غير صورة لأب مثالي ينتظر منه المؤمنون حماية وخلاصا، ووفقا لهذا ينعت اليهود الله بالأب، وفي المسيحية فهو والد الولد من بني الإنسان، أما الإسلام فيرفض كل صلة لله بأيّ نوع من الصور الأبوية، وليس هناك موقع واحد في القرآن الكريم يسمى الله فيه بـ "الأب"، إنّ الإنسان في الإسلام ليس بابن الله، وبالمقابل يقول القرآن عن الله أنه: "الصمد لم يلد ولم يولد"، وبالتالي فإنه ليست هناك من إمكانية لوجود رابط نسبي بين الله والإنسان، بهذا يناقض القرآن أطروحات فرويد.

✓ **وما هي التبعات العملية لهذا الأمر في ممارسة هذه العقيدة؟**

حسب الباحث إنّ الإسلام يطلب بذلك أمرا يتنافى والحاجات النفسية للإنسان، غنه يشترط على الإنسان التحرر من الحاجة الطفولية التي تكرس صنم الأبوية، إذ كل طفل بما في ذلك كل طفل مسلم، سيعتبر أباه بمثابة الإله، لكن الإسلام يرفض ذلك قطعيا هذا التصور الطفولي لله، وبذلك يتحول إلى ديانة غاية في التجريد، إنّ الله في الإسلام بعيد كل البعد عن الإنسان، لأنه لا يمكن ولا ينبغي تمثله في علاقة ما بما هو بشري، وبالتالي فإن إمكانية إنجاب ما هو إلهي كما هو الشأن في المسيحية لا يمكن تصورها البتة في الإسلام.

✓ **ما هي التبعات الاجتماعية التي تنجم عن هذا الإله المنفصل عن المنزلة البشرية؟**

حسب الباحث دائما إنّ الصورة التجريدية للإله المنفصل المتعالي تمنح الإنسان حرية للقيام بما يريد فوق الأرض، هذه الحرية تنطوي على الكثير من الاعتباطية من جهة، لكن على مسؤولية كبرى من جهة ثانية، ولقد كان لهذه الرؤية حضور متين في الإسلام، وهي تعبر عن نفسها في تأويل ديني ذي منحى دنيوي قوي، لذلك لا توجد في الإسلام رهبنة أو أديرة يمكن للمرء أن يتبتل فيها وينعزل عن الدنيا.

✓ **هل لهذه الرؤية تأثير على العالم الإسلامي في عصرنا الحاضر أيضا؟**

حسب الباحث هناك إمكانية ثانية لِما يمكن أن يمارسه التعالي الإلهي من تأثير على نظرة المسلم إلى العالم، في أوربا مثلا توجد مقولة "إن الله قد مات"، لكن عندما يكون الله مثلما هو الحال في الإسلام، غير قابل للتمثل في صورة بشرية فإنه لا يمكن له بالتالي أن يكون جزء محايثا للتاريخ، ناهيك عن إمكانية موته، وهكذا فإنّ الله دائم الحضور، والإنسان لا يمكنه أن يكون بمنأى عنه فوق الأرض، إذ كل ما يند عنه من حركات يحدث تحت العين البصيرة لله، هذا هو التصور الذي يسود اليوم داخل العالم الإسلامي.

✓ **إلى أيّ مدى يمكن إيجاد تفسير نفساني لظاهرتي العنف والأصولية؟**

يعاني العالم الإسلامي منذ الثمانينات من الصراع بين النمط التقليدي والحداثة، فالتقليديون لا يملكون أيّة وسائل تمكنهم من فهم ما يحدث من تغييرات والتقاليد لا تمنح أيّ تفسير، وليس هناك من عناصر تلعب دور الوسائط التي تقوم بهذا العمل، ذلك أنّ الحريات الديموقراطية منعدمة في البلدان العربية.

فالمثقفون لا يستطيعون المشاركة، وحرية التعبير مفقودة ولا أحد يستطيع مد الجسور، هذه القطيعة تثقل على الإنسان وتستثير لديه مخاوف كبيرة بالتالي يلجأ المسلمون محددا إلى الدين أملا في أن يجدوا أجوبة على حيرتهم هناك،

إلا أنّ هناك التوجه الديني لا زيد إلاّ في تعميق التناقض بينهم وبين العالم الحديث، وهذا المأزق يساعد الأصولية على ممارسة المزيد من التأثير كتعبير عن الأمل في العودة إلى الأصول والفرار من مستلزمات الحداثة.

- ✓ **فيم يتمثل الخلاف بالضبط بين العالم الإسلامي والحداثة؟**

إنّ الحداثة تدفع بالمسلمين رغما عنهم إلى تجاوز مطرد للحدود التي يضعها الدين، مثلا عندما تكون أمام أعينهم في كل مكان في التلفزيون أو على الملصقات الإشهارية، صور لنساء شبه عاريات فينشأ لديهم انطباع بأن الحياة لم تعد تسير بما يوافق ما يمليه الدين، وبالتالي يضل يخامر المؤمنين شعور بأنهم يمارسون على الدوام مسائل محرمة، إنهم يرزحون تحت عبئ شعور بالذنب رهيب لا يكف عن التنامي.

- ✓ **هل يمنح الإسلام حلا لهذا الشعور بالذنب؟**

يعرّف فرويد الدين بأنه أساس تتبنى عليه الحياة الاجتماعية، فهو يتحكم في الغرائز ويأطر ويسير ظاهرة الشعور بالذنب لدى الإنسان، وبذلك يمكن للدين أن يدفع بالإنسان إلى شتى الأعمال أحدهما التكفير عن الذنب يتمثل في التضحية التي يمارسها المؤمن على نفسه، فالمرأة التي تشعر أنها مذنبة مثلا لأنّ جسمها يثير الرغبة الجنسية يمكنها أن تتحجب ***(قبيسي، مخلوف، قبال، 2008)***.

ومن الباحثين العرب أيضا الذين كتبوا في هذا الموضوع الباحث والمحلل النفساني اللبناني عدنان حب الله الذي يعمل في باريس، حاول إعطاء نظرة مختصرة عن ظهور التحليل النفسي في البلاد العربية، فحسب الباحث ظهر التحليل النفسي في البلاد العربية أولا في مصر، بعد الحرب العالمية الثانية، وظهر فوج من المحللين اهتموا بكتب فرويد وبترجمتها، والغريب أنّ أكثر هؤلاء المحللين هاجروا إلى الخارج، ولم يبق منهم إلا القليل لم يتكلم أحد عن أسباب هجرتهم وهي جديرة بالعناية والاهتمام، أما في لبنان فظهرت الموجة التحليلية قبل الحرب الأهلية بقليل، وكان يعلق عليها الكثير من الأمل، لأنّ هذا البلد ملتقى الحضارة العربية والشرقية، والمؤهل أكثر من غيره لضمان انطلاقة التحليل النفسي، ألفت بالاشتراك مع ثلاث محللين "الجمعية اللبنانية التحليلية" ورغم الحرب صمدت هذه الجمعية عدة سنوات، وكان التحليل النفسي يدرس كمادة أساسية في علم النفس في الجامعة اللبنانية بقسم الآداب.

أبدى المحللون الفرنسيون اهتماما بنشأة التحليل النفس في لبنان، فلقد ألقى الباحث "جاك لاكان" (Lakan) محاضرة في لبنان سنة 1973، كما أنّ "سيرج لوكلير" (Loklir) ألقى سنة 1978 سلسلة من المحاضرات في بيروت، إضافة إلى غيرهم من المحللين، ومع تمزق البلد وانقسامه، توقفت الجمعية عن نشاطها وأصبح كل عضو يعمل بمفرده، هذا ما جعل الباحث "عدنان حب الله" في النهاية يهاجر بعدما تبين له أنّ العمل أصبح مستحيلا، ومن شروط الممارسة التحليلية هو توافر جو العمل، فحرية الكلام التي هي سند الممارسة التحليلية يجب أن تتوفر لها الضمانة اللازمة.

وقال عن نظرة المجتمع العربي للتحليل النفسي: "انطلاقا من خبرتي من خلال اشتغالي بالتحليل النفسي في لبنان خلال إحدى عشرة سنة، هناك تصوران، تصور العارف بالموضوع، وهو الطالب (يطلب التحليل النفسي) أي الرجل المثقف، وهناك الأكثرية الساحقة التي لا تعرف شيئا عن الموضوع، وتنظر إلى المحلل بنفس الصفة والخشية اللتين تنظر بهما إلى الشيخ الذي يتكلم في السيطرة على الأرواح الشريرة، ولكن سرعان ما يتبدد هذا الوهم، ويتبين لهم أنّ العلاقة هي علاقة عقلانية مرتبطة بتاريخ، وليس بالورائيات الغامضة، هنا تتبين لهم فعالية سحر الكلمة التي تنطلق وتعبر عن الحقيقة، فالمجتمع العربي لم يتمكن حتى الآن من تدجين الأرواح الشريرة التي يعدها مصدر للأذى والخوف، فالعالم الخيالي كما هو جانب مثير (منبع للذة والخير)، وله جانب مخيف (منبع للشر والضرر) ولا يمكن السيطرة عليه، لذلك نحيطه بالعديد من الطقوس التي تهيئ له الحماية".

وعن إشكالية التلاقي والقابلية بين التحليل النفسي والمجتمع العربي الإسلامي قال: " يعود عدم تقبل التحليل النفسي في المجتمعات العربية إلى أسباب خاصة بالمجتمع العربي وتقاليده، ولأسباب تعود إلى منطلقات التحليل النفسي

ذاته، فظهور التحليل النفسي متأخم لأزمة العصر الحضاري المادي، المجتمع الغربي الذي أصبح مجتمعا عقلانيا ضيق الخناق على مفهوم الإنسان، المميز برغبته وبعلاقته الإنسانية، المجتمع الحضاري عالج مشكلة الإنسان من الناحية الحاجاتية، وبقيت أشياء لم ينتبه لها، ومن هنا نجد أنّ الأرضية التي ولد عليها التحليل النفسي ليست هي الموجودة في العالم العربي، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فالمجتمع العربي غير مهيأ لتقبل فكر "غريب" لم ينبع أو لم يكن وليد تكوينه، في الفكر العربي هناك عالم الخيال، وهو في مستوى اللاعقلاني ويتعايش هذا العالم مع عالم الواقع العقلاني، وقد يكون هذا حاجزا نفسيا أمام المنهجية التحليلية العقلانية، هذا بالإضافة إلى وجود علاجات نفسية تقليدية لا تزال تمارس في الأوساط الشعبية وتحافظ على منهجيتها منذ قرون، فالذين كانوا يستشيرون الشيخ أكثر بكثير من الذين كانوا يستشيرون الطبيب النفسي، وفي هذا مصاب آخر للنظرية النفسية الغربية التي تركز على الذات وتحملها مسؤولية المرض، مما ينتج عن ذلك شعور مؤلم بالذنب، أما النظرية العربية، فتقوم على نقلة نوعية من الداخل إلى الخارج من حيث أنّ كل ما يمس الذات من أذى ناجم عن أرواح شريرة موجودة في الخارج، ويعمل الشيخ على حماية مريضه، يبعد أذاها عنه ببعض الطقوس المعروفة من هنا يشعر المريض بانتهاء مشكلاته أولا، وثانيا بوجود شخص يحميه من هذه المشكلات" (***تونس، 2013***).

أضاف الباحث "جيلبير غرانغيوم" (Gilbir G) فيما يخص أشكال اللقاء بين الإسلام والتحليل النفسي أنه بقدر ما نلاحظ مدى اعتناق عالم الفكر الأوروبي بإسهامات التحليل النفسي، نكتشف إلى أيّ حد بقي العالم العربي يقاومها بشدة، أكيد أنّ التحليل النفسي يمارس كبقية الفكر الأوروبي إغراءا قويا، إلاّ أنّ محاولات تأسيس الممارسة العلاجية والبنيات الفكرية أو التعليمية المطابقة له لم تأت بنتائج تذكر، وهذا مما يفسر رواج الفكرة القائلة بأنّ ثمة تنافرا جذريا بين الإسلام والتحليل النفسي، ثم قال: "قبل أن نجزم قائلين بانعدام فائدة التحليل النفسي ضمن نطاق الثقافة العربية الإسلامية، قد يكون من المفيد البحث عن الكيفية التي تم فيها اللقاء بين الإسلام والتحليل النفسي، إنّ الفحص السريع للموضوع يوّضح بأنه في إطار العلوم وظف التحليل النفسي.

هل تنحصر المسألة بعلاقة التحليل النفسي بالثقافة العربية الإسلامية؟ الجواب قطعا لا، إذ يطرح تطبيق التحليل النفسي على العلوم الإنسانية حتى يومنا هذا عدة إشكاليات، بحيث أنّ نقل المفهومات التحليلية إلى مادة أخرى يبقى عملية غير مقنعة.

ويبدو لي أنه لا غبار على الإثراء الذي يمكن أن يضيفه هذا التراث الفرويدي إلى الثقافة العربية، لكن شريطة أن تأخذ بعين الاعتبار الثراء الذي يمكن أن يفيده هذا التراث من عملية انغراسه في هذه الثقافة، تهم عملية الانغراس هذه مجالين هما: مجال الممارسة العلاجية ومجال التفكير في المجتمع أعني المجال الذي يهم الفرد والمجال الذي يهم المجتمع، في الفكر الفرويدي نعرف الصلة القائمة بين المجالين، لكن الأمر يتطلب التمييز بين مجالين تطبيقيين.

ويقول أيضا: "ليس لي فيا يخص الممارسة العلاجية سوى الاعتراف بعجزي في الميدان، مما لا يمنعني من طرح بعض الأسئلة، أغلب المحللين النفسانيين في العالم العربي تلقوا تكوينهم في الخارج، القلة هي التي أمكنها دون شك ممارسة العلاج باللغة العربية، في هذا الوسط الأجنبي بالذات سيجد هؤلاء المحللون فيما بعد سندا ثقافيا، إلا أنّ ممارستهم لم تقدم باستبيان ما يمكن أن يمثل تجربة علاجية منحدرة من ثقافة مغايرة، لربما يرجع ذلك إلى الانتشار المحدود لهذه الممارسة إلى عينات متغيرة، لم تقدر على ربط الصلة بالأفراد المتشبعين بالثقافة المحلية.

غالبا ما تكشف وضعية بعض المحللين النفسانيين العرب الذين يشتغلون في فرنسا عن قطيعة مع ثقافتهم الأصلية، بالتالي هل هناك من يمنع هؤلاء من الحديث عن علاقتهم بثقافتهم الأصلية عن اللغة التي يحللون بها، عن الفارق الذي يشعرون به؟، وأنّ هذه الأشياء كلها لم يعيشوها إلا على شكل قطيعة؟، يسود الانطباع بأنّ هؤلاء المحللين

نظرا إلى الصمت المطبق حول هذه المسألة يقومون بعملهم مثل زملائهم الأوروبيين، وبأنهم يحددون الإطار نفسه، ويستخدمون الوسائل نفسها.

ورغم أنّ الغرب ينسب التحليل النفسي غلى سيقموند فرويد لكن يكشف ما تركه الأطباء المسلمين الأوائل والذين تربو وترعرعوا في كنف الإسلام من أرباب الديانات الأخرى، أنهم تعرفوا قبل فرويد على منهج التحليل النفسي واستخدموه في علاج بعض حالاتهم المرضية، بالتالي يشهد التاريخ يوما بعد يوم أنّ للحضارة العربية الإسلامية فضل السبق والتقدم على الحضارة الغربية، ففي المشرق مثلا كتب الفرابي في النفس والروح والعقل، ودرس قواعد علم النفس الاجتماعي والغريزة الاجتماعية والعوامل التي تساعد على تماسك المجتمع، كما درس إخوان الصفا النفس والعقل، وأشاروا إلى أنّ النفس الأزلية تصير إلى العقل المفكر وإن كانت مرتبطة بنفس العالم، وفي رسائلهم ما يشير إلى المعالجة بالتحليل النفسي، وذلك بترك المريض يسرد أحواله كما يشعر هو بها، ثم يحاول بعد ذلك إزالة الأسباب التي شكا منها، وهي طريقة الاستماع إلى الفرد على أساس التداعي الحر، وبذلك يكون إخوان الصفا قد سبقوا فرويد بألف سنة على الأقل في هذا الصدد، ثم أتى في القرن التاسع (09) للميلادي علي بن سهل الطبري صاحب كتاب "فردوس الحكمة" الذي بحث من خلاله عن ماهية الأمزجة والحواس والانفعالات والكابوس، وكذلك علل الدماغ والصرع ومختلف أنواع الشلل، وقد تتلمذ على يده أبو بكر الرازي الذي كان محيطا بعلوم الفزياء والكمياء، والرياضيات، وعلم النفس وغيرها، وله عدة كتب منها التخيل، والوسوسة، والحالات الانفعالية والمنخوليا، وغيرها، ونجد ابن سينا الذي استطاع بفضل منهجيته في التشخيص والعلاج أن يتعمق أكثر من غيره في ترابط الجسم والروح، وترك في علم النفس عدة تحاليل تخص الذاكرة، الوسواس، السويدان، الأحلام الهلاوس، العشق، الحلات الحسية الباطنة والانفعالية، وغيرها، ويتبع الغزالي في كتابه "المنقذ من الضلال" أسلوب التأمل الباطني (الاستبطان) لدراسة أحوال وحوافز النفس، وقد طبق هذا الأسلوب على تحليل نفسه بالذات بكل جودة ودقة حينما أصبح يشكو من حالة اكتئابية سماها الغنط أو الكنظ، وقد أصبحت تحاليله هذه في مستوى شهرة التحليل الذاتي الذي قام به "سان أوكستان"، أما في المغرب العربي خاصة بين القرن الخامس (05) والسابع (07) للهجري حيث ازدهرت العلوم والفنون فبرز عدد من العلماء مثل ابن زهر الذي كان يفضل الطب الروحاني على الطب الجسماني، وابن رشد توسع في تحليل الروح والنفس والجسد على أساس منهجه المنطقي، كما اشتهر وقتئذ ابن حزم في علوم الأخلاق والاجتماع والشعر فكتب في علم النفس وفي الأمزجة والسلوك، وغيرهم ***(المهدي، 1990).***

وإذا نظرنا إلى الروابط والفوارق بين القيم الدينية والتحاليل النفسية الفرويدية مثلا فالنظرية الفرويدية يمكن أن تؤدي إلى سيطرة الغرائز الجنسية في كل الحالات، ولربما تشجع على ذلك في مفهومها السطحي الشائع، بينما تحث القيم الدينية على التحكم في الدوافع والتغلب عليها بسيطرة النفس الفاضلة الضمير وهو الأنا الأعلى عند فرويد.

وما يثبت أنّ المجتمع العربي الإسلامي مازال يتماشى مع هذه القيم الدينية الأصلية التي لا تزال قائمة في النفوس بشكل من الأشكال، التي تعالج صراعات الفرد التي يتخبط فيها هو عدم الاعتراف بالعلاج النفسي والاعتماد عليه في العلاج.

وما جعل المسلمين العرب يرفضون هذا النوع من التنظير والعلاج هو عدم استطاعة المريض فهم الكلام الغامض المعقد الذي يستخرج من هذا النوع من النظريات شبع العلمية الغربية المصدر والتي تتفكك يوم بعد يوم عرضة إلى الانتقاد والمراجعة في المجتمع الغربي نفسه، وهذا ما لا يتوفر في العقيدة الإسلامية (القرآن الكريم لا يتغير في الزمان والمكان).

يضع البعض العلاج الديني، الذي يقوم على مبادئ روحية سامية مقابل العلاج النفسي الدنيوي الذي يركز على السعادة في دار الدنيا بكل جوانبها المادية والأدبية، لكن الدين يوفر أحيانا الأمن الذي قد لا تستطيع أساليب علم النفس

أن توفره، ومع ذلك ففي طرق العلاج النفسي الدنيوي نجد بعض أعلامه يؤمنون بأنّ الدين عامل هام في إعادة الطمأنينة إلى النفس، فقد أكد العالم "كارل يونغ" أهمية الدين وضرورة إعادة فرض الإيمان والرجاء لدى المريض ***(تونس، 2013).***

- **تفسير الأحلام عند الإسلام وعلم النفس:**

من بين المواضيع المشتركة التي اهتم بها كل من التحليل النفسي والدين الإسلامي هو الأحلام رغم اختلاف طريقة التفسير.

لقد فسر فرويد الأحلام على أنها أفكار باطنة للشخص الحالم وظهرت بعينها في النوم، فرويد كغيره من الماديين أرجع جميع الأمور إلى نظرة مادية، وانحرف عن طريق السوي في موضوع الخالق والدين، حيث لم يستطع أن يدرك الواقع من جميع جهاته، إنه يرى الأحلام مظهر للأفكار الباطنة فقط، أي أنّ فرويد حصر جميع الأحلام بخاصية نفسية واحدة هي أنها مظهر للوجدان الباطن، هذا خطأ لأنّ في الإسلام ليس كذلك لأنّ بعض الأحلام عبارة عن تجليات الضمير الباطن وهذا القسم يعتبر سليما لأنه يربط بين النفس الظاهرة والخفية، هنا قال (ص): "والذي يحدث به الإنسان نفسه، فيراه في منامه".

وهناك نوع من الأحلام أين يكون الشخص بعيد كل البعد عن موضوع ما منه في البحث عن وثيقة مهمة من طرف أفراد أسرة (أقرباء) ثم تنام بمكانها وعندما يبحثون بعدها في ذلك المكان يجيدونها، يري أنّ لهذا النوع من الأحلام باب خاص لأنه ليس رغبة لشيء ما يمنعه المجتمع أو تحقيقها، أوضحه النبي (ص) بقوله: "بشرى من الله"، وهي نوع من الإلهام الإلهي، فلم يتحدث فرويد عن هذا النوع من الأحلام ولأنه يؤمن فقط بالماديات (تحقيق أشياء في الواقع)، لأنها أحلام تكشف عن حقائق مجهولة تماما، لازمة اعتراف بالمبادئ الروحية والتصديق بعالم ما فوق المادة.

وعلى أية حال فإنّ طائفة من الأحلام لا يمكن أن تفسر حسب أصول التحليل النفسي والمدرسة المادية وهي قابلة للتغيير على مبنى الإلهيين والمعتقدين بما وراء الطبيعة والمادة، وإنّ الجانب المعنوي والإلهام الروحاني لبعض الأحلام مهم إلى درجة أنّ النبيّ (ص) قال عنها: "إنّ الرؤى الصادقة جزء من سبعين جزء من النبوة".

- **النفس الإنسانية لدى علماء النفس الغربيين وعلماء النفس المسلمين:**

حاول الباحث والمؤلف "صالح بن براهيم الضيع" تناول موضوع النفس الإنسانية عند علماء النفس الغربيين وعلماء النفس المسلمين من خلال عرض مجموعة من الباحثين من كل طرف والمقارنة بين رأى الطرفين، فأعطى وجهة نظر أربعة من العلماء الغربيين الذين هم: سيقموند فرويد (Sigmund freud)، كارل يونغ (Karle Jung)، إبراهام ماسلو (Abraham Maslou)، وأربعة من العلماء المسلمين الذين هم: أبو حامد الغزالي، ابن تيمية، ابن قيم الجوزية، محمد قطب.

فتوصل الباحث من خلال عرضه لرؤى العلماء الثلاثة الغربيين للنفس الإنسانية إلى النتائج التالية:

- التركيز على الجانب الغرائزي في الإنسان وأعطوه أهمية كبيرة في مجال نشاط الإنسان وهذا جلي في طروحات فرويد وإبرازه للدوافع الغريزية التي محلها الهو وسيطرتها على السلوك، بل جعلها تبدأ في الغريزة الجنسية مع الطفل الرضيع وفي السنوات الثلاثة الأولى، كما أنّ ماسلو جعل للحاجات الفيزيولوجية هي أهم الحاجات وأولها للتلبية والإشباع دون تردد أو تأخير، وهذا لا يسنده الواقع حيث نجد في سلوك الناس القدرة على تأخير إشباع الحاجات، كما في الصيام لدى المسلمين.
- تغلب الجوانب الدنيوية في النظر للنفس الإنسانية، وجعلها ما يتعلق بالدنيا هي الغاية التي تصبو إليها النفس الإنسانية.

- تغييب الجانب الديني والروحي في الإنسان، خصوصا لدى فرويد وماسلو في طروحاتهما، وإن كان يونج أشار إلى أهمية الجانب الديني للإنسان والنفس الإنسانية ***(الصنع، 2013).***

وتوصل الباحث من خلال عرضه لرؤى العلماء الأربعة المسلمين للنفس الإنسانية إلى النتائج التالية:

- أنّ الإنسان مخلوق من عنصرين هما المادة (التراب) والروح، وهما يحتاجان ما يشبعهما، فالمادة تحتاج للحاجات الجسدية من غذاء وجنس وراحة وما يدخل فيها، وكذلك الروح تحتاج إلى إشباع عن طريق ما يأتي به الدين من عبادات وأخلاق.
- أنّ مصادر المعرفة للإنسان تبدأ بالحواس ثم العقل ثم الوحي، ويكون الوحي هو المعيار لما يقبل ويرفض من المصدرين السابقين.
- إنّ النفس الإنسانية لديها الاستعداد للخير والشر، ولكنها مفطورة على فطرة الخير، ما لم يأتي ما يحرفها عن فطرتها من عوامل خارجية كالوالدين والشيطان ورفاق السوء.
- العديد من علماء المسلمين يستفيدون مما يورده غير المسلمين فيما يتعلق بالإنسان والنفس الإنسانية وقوى النفس، ثم يضفون ما يقدمه الوحي من معارف توسع آفاق تناولهم لتلك الموضوعات وتنقلها إلى فضاءات أرحب وأكثر قربا من واقع الإنسان والنفس الإنسانية ***(المرجع نفسه)*** .

ومن خلال هذه النتائج تتبين لنا الفروقات بين تناول علماء النفس الغربيين وعلماء النفس المسلمين للنفس الإنسانية، ولعل من أهمها:

- يركز الغربيون على الجوانب المادية للنفس الإنسانية وإشباعها، ولا يعطون الجوانب الروحية حقها في الإشباع.
- يتميز العلماء المسلمون إعطاء للنفس الإنسانية حقها في الإشباع الحيوي المادي، وكذلك الإشباع الروحي الذي لا بد لها منه حتى تستقر حياتها، ويحدث التوازن اللازم في تحقيق إشباع الجانبين المادي والروحي.
- يغفل العلماء الغربيون في تعاملهم مع النفس الإنسانية عن جوانب الآخرة ويركزون على الأمور الدنيوية.
- يحرص العلماء المسلمون على الجوانب الدنيوية في النفس الإنسانية ولكنهم يؤكدون أهمية الجوانب الآخروية وضرورتها لحياة الإنسان.
- تبرز الغرائز الإنسانية الدنيا في طرح معظم الباحثين الغربيين، ويقل الاهتمام بالجوانب العليا في الإنسان.
- يحرص العلماء المسلمون على أهمية الجوانب والقيم العليا للإنسان وأنها يجب أن تأخذ الجهد الأكبر من حرص العلماء، مع عدم إغفالهم للجوانب العضوية لأنّ دين الإسلام دين التوازن بين كل جوانب الإنسان ***(بن سلامة، 2008).***

خاتمة:

رغم كل ما أضافته نظرية التحليل النفسي إلى المعرفة في علم النفس والعلاج النفسي إلا أنها تبقى عاجزة أمام ما أتت به الديانات خاصة الديانة الإسلامية، هذا إضافة إلى عجزها في تفسير وعلاج بعض المواضيع، يظهر ذلك في الانتقادات التي وجهت لها سواء من الغربيين أو المشارقة الذين يرون أنه من غير المعقول تطبيق أفكار نشأت في ثقافة غربية ذات أساس يهودي أو مسيحي في ثقافة أخرى مغايرة كالثقافة العربية الإسلامية الشرقية المبنية على الدين الإسلامي، رغم أنّ البعض يؤكد على أنّ الأفكار الأولى للتحليل النفسي بدأت أولا عند الأطباء والباحثين والفلاسفة العرب الأوائل، فأخذ الغرب أفكارهم وطوروها حسب ثقافتهم، هذا كله جعل المشارقة الآن يبحثون عن بناء نظرية تحليلية نفسية إسلامية وعلاج نفسي إسلامي.

الهوامش:

1- بن سلامة، فتحي (2008): الإسلام والتحليل النفسي، ترجمة رجاء بن سلامة، دار الساقي، بيروت، لبنان.

2- تونس، سليم عمار (2013): العلاج النفسي في الإسلام، مقال منشور، الموقع الالكتروني: www.khayma.com

3- الصنع، صالح بن براهيم (2013): النفس الإنسانية لدى الغربيين وعلماء النفس المسلمين، قراءات في التراث النفسي العربي الإسلامي، إصدار شبكة العلوم النفسية العربية، العدد 5.

4- عليان، هناء (2015): ليبرالية الغرب وتهجين الإسلام، مقال مترجم من كتاب المؤلف جوزيف مسعد بعنوان الإسلام في الليبرالية، جريدة الحياة.

5- العيسوي، عبد الرحمن (د ت): الإيمان والصحة النفسية، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، مصر.

6- الفتاح الغامدي، حسن عبد، مقال منشور بعنوان: موجز لأهم نظريات التحليل النفسي والفكرة الأساسية للنظرية مع التركيز على سلبية وفعالية الإنسان الموقع الالكتروني :www.pdffactory.com

7- قبيسي، حسن، مخلوف، عيسى، قبال، المعطي (2008): التحليل النفسي والثقافة العربية الإسلامية، مجتمع الروضة التجاري، دمشق.

8- مصباح، علي (2006): لماذا يعارض الإسلام مقولات التحليل النفسي، مقال منشور، حقوق الطبع قنطرة.

9- المهدي، محمد عبد الفتاح (1990): العلاج النفسي في ضوء الإسلام، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق.

المحمودي، محمد سرحان علي. (٢٠١٩). *مناهج البحث العلمي*. ط٣. دار الكتب.
الجادري، عدنان وقنديلجي، عامر وبني هاني، عبد الرازق وأبو زينه، فريد. (٢٠٠٦). *مناهج البحث العلمي الكتاب الاول أساسيات البحث العلمي*. مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع.
عليان، ربحي مصطفى. (٢٠٠٨). *البحث العلمي أسسه مناهجه وأساليبه إجراءاته*. بيت الأفكار الدولية.
الدليمي، عصام حسن وصالح، علي عبد الرحيم، (٢٠١٤). البحث العلمي أسسه ومناهجه. دار الرضوان للنشر والتوزيع.
شحاتة، حسن، (٢٠٠١). البحوث العلمية والتربوية بين النظرية والتطبيق. مكتبة الدار العربية للكتاب.
الضامن، منذر،(٢٠٠٦). أساسيات البحث العلمي. دار المسيرة للنشر والتوزيع.
حسن، أحمد وماضي، أحمد ونجا، أحمد وسيد، أسامة وأبو جبارة، أمجد وحسين، إسلام والأشموني، خالد وسليمان، رشا وزهران، محمد وعطاالله، معتز، (٢٠١٨). أساسيات البحث العلمي الإصدار الأول. علماء مصر
سليمان، سناء محمد. (٢٠١٠). *أدوات جمع البيانات في البحوث النفسية والتربوية*. عالم الكتاب.
النعيمي، محمد عبدالعال، والبياتي، عبدالجبار توفيق وخليفة، غازي جمال. (٢٠١٥). *طرق ومناهج البحث العلمي*. الوراق للنشر والتوزيع.
عبدالعزيز، سلوى رمضان وعبدالعزيز، محمد عبدالعال. (٢٠٢٣). البحث في الخدمة الاجتماعية. جامعة الفيوم.
مركز البيان للدراسات والتخطيط. (٢٠١٧). *خطوات كتابة البحث العلمي في الدراسات الإنسانية*. سلسلة إصدارت مركز البيان للدراسات والتخطيط.
جاسم، غادة محمود. (٢٠٢٠). *عرض النتائج- تنظيمها وتحليلها ومناقشتها- الجداول والرسوم- بعض الأخطاء*. جامعة المستنصرية.
قلش، عبدالله. (٢٠١٧). *منهجية البحث العلمي*. جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف
درويش، عطا حسن وصالح، نجوى فوزي وأبو صقر، وسيم خضر وكلخ، محمد راتب،(د.ت). *دليل معايير جودة البحث العلمي*.
عبيدو، علي ابراهيم على،(٢٠١٤). *جودة البحث العلمي الأخلاقيات- المنهجية- الأشراف- كتابة الرسائل والبحوث العلمية*. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.
عقيل، حسين عقيل، (٢٠١٠). *خطوات البحث العلمي من تحديد المشكلة إلى تفسير النتيجة*. دار ابن كثير للنشر والتوزيع.
زايد، مصطفى. (١٩٩٩). *قاموس البحث العلمي*. النسر الذهبي للطباعة.
بناي، نوال، وزايدي، غنية. (٢٠٢٢). أثر جودة الحياة الأسرية لدى المتفوقين دراسيًا (دراسة ميدانية). *مجلة دراسات وأبحاث، ١٥* (١)، ٦٢٧- ٦٣٧.
عبدالجليل، طواهر وعبدالباسط، ميدون. (٢٠٢٢). الدراسات السابقة في البحوث العلمية. *مجلة القبس للدراسات النفسية والاجتماعية، ١٣* (٤)، ١٠٤- ١١٥.
حيرش، أمينة وهزرشي، طارق. (٢٠٢٢). أهمية تحليل الدراسات السابقة لزيادة القيمة العلمية والعملية للبحث العلمي. *مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية، ٧* (٦)، ٣٨٨- ٣٩٩..
زروالي، وسيلة. (٢٠٢١). أهمية الدراسات السابقة في البحث العلمي. *مجلة القبس للدراسات النفسية والاجتماعية، ١٠* (١)، ٥٧- ٦٧.

بوترعه، بلال، وضيف، الأزهر. (٢٠١٩). استعراض الدراسات السابقة في البحث العلمي. *مجلة العلوم الإنسانية، ١٩* (١)، ٨٧- ١٠١.

يحياوي، إبراهيم. (٢٠٢١). الدراسات السابقة أهميتها وكيفية توظيفها في بحوث العلوم الاجتماعية. *مجلة علوم الإنسان والمجتمع، ١٠* (١)، ٣١٩- ٣٤١.

مليكة، ماقري. (٢٠٢٢). الأسس المنهجية لتوظيف الدراسات السابقة في البحث الاجتماعي. *مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية، ١٠* (٣)، ٦- ٢٠,

حمودات، ثابت. (٢٠٢١). *الأطر النظرية والدراسات السابقة/ المنهج التاريخي في التربية الدينية*. جامعة الموصل.

الشرماني، علاء. (٢٠٢٠). *اعداد خطة بحث دليل إعداد خطة بحث*. جامعة تعز.

الداود، إبراهيم بن داود، والنقاش، ساره بنت عبد الله. (٢٠١٨). *دليل إعداد خطة البحث للرسائل العلمية لطلبة الدراسات العليا*. قسم الإدارة التربوية جامعة الملك سعود.

لجنة الخطط البحثية. (٢٠٢١). *دليل خطة البحث بقسم التربية الخاصة*. جامعة الملك سعود.

الظفري، عبد الجبار، والفقيه، عبد الكريم. (٢٠٢٢). *خطة البحث العلمي مفهومها، الأهمية*، العناصر. جامعة إب.

إبراهيم، عبد الله سليمان. (٢٠٠٥). خطة البحث وعناصرها. *مجلة كلية التربية بالزقازيق*، (٥٠)، ١- ٧.

خضر، أحمد إبراهيم. (٢٠١٣). إعداد البحوث والرسائل العلمية من الفكرة حتى الخاتمة. القاهرة: جامعة الأزهر.

سالمه، محمد، شندي، إسماعيل، وعزام، أحمد. (٢٠٢١). دليل إعداد الرسائل العلمية والإشراف عليها. جامعة القدس المفتوحة.

الربيعة، عبد العزيز. (٢٠١٢). البحث العلمي حقيقته، ومصادره، ومادته، ومناهجه، وكتابته، وطباعته، ومناقشته (ط ٦). دار العبيكان.

نموذج رقم (١) عن إعداد خطة البحث هو نموذج بسيط يوضح مراحل إعداد الخطة البحثية بصورة مبسطة متضمنًا أهم عناصرها (تحميل نموذج إعداد خطة البحث العلمي pdf).

نموذج رقم (٢) عن إعداد الخطة البحثية يتضمن سرد عملي لجميع أجزاء الخطة البحثية بدايةً من صفحة الغلاف وصولًا إلى قائمة المراجع (تحميل نموذج إعداد الخطة البحثية pdf).

نموذج رقم (٣) نموذج توضيحي عن كيفية إعداد خطة البحث تم إصداره من جامعة الإمام بن سعود الإسلامية يمكنك تحميل هذا النموذج بطريقة مجانية (تحميل نموذج إعداد خطة البحث pdf)

الفجيه، زينب محمد. (٢٠١٨). المشكلات التي تواجه طلبة الدراسات العليا في تحليل البيانات في البحوث التربية. *Abjadia: International Journal of Education*، ٣ (١)، ٦٧- ٨٠.

أبو نصرة، سناء. (٢٠٢١). *البرامج العامة المستخدمة في التحليل الإحصائي*. جامعة الملك سعود.

سليمان، عفاف. (٢٠١٩). فاعلية الفصل المعكوس في تنمية بعض مهارات التحليل الإحصائي لنتائج البحوث لدى طلاب الدراسات العليا بكلية التربية. *مجلة جامعة الفيوم للعلوم التربوية والنفسية، ٤* (١٢)، ٢٢١- ٢٥٥.

محمد، أماني. (٢٠٠٧). *التحليل الإحصائي للبيانات*. مركز تطوير الدراسات العليا والبحوث في العلوم الهندسية.

Davis, P. M., & Walters, W. H. (2011). The impact of free access to the scientific literature: a review of recent research. *Journal of the Medical Library Association: JMLA*, *99*(3), 208–217. https://doi.org/10.3163/1536-5050.99.3.008

Horn, D. J., Fletcher Jr, R. J., & Koford, R. R. (2000). Detecting area sensitivity: a comment on previous studies. *The American Midland Naturalist*, *144*(1), 28-35. https://doi.org/10.1674/0003-0031(2000)144[0028:DASACO]2.0.CO;2.

Lederman.,N., G. (2017). What is a theoretical framework? A Practical Answer. *Journal of Science Teacher Education, 26* (7), 593- 597